

مضى عمل المسلمين قديما وحديثا على قول ( صدق الله العظيم ) بعد الانتهاء من تلاوة القرآن ولم ينكر ذلك أحد على مر العصور بل عد أهل العلم ذلك من آداب التلاوة :

ففي تفسير القرطبي ١ / ٢٧ :

أن الحكيم الترمذي ذكر ذلك بعض آداب التلاوة فقال : ( ومن حُرِّمَتْه إذا انتهت قراءته أن يُصَدِّقَ رَبَّهُ، ويشهد بالبلاغ لرسوله صلى الله عليه وسلم مثل أن يقول: صدق الله العظيم وبلغ رسوله الكريم ويشهد على ذلك أنه حق، فيقول: صدقت ربنا وَبَلَّغَتْ رُسُلُكَ ونحن على ذلك من الشاهدين اللهم اجعلنا من شهداء الحق القائمين بالقسط، ثم يدعو بدعوات ) اهـ.

وقال الإمام الغزالي في الإحياء وهو يعدد آداب تلاوة القرآن ١ / ٢٧٨ :

(الثامن : أن يقول في مبتدأ قراءته أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون وليقرأ قل أعوذ برب الناس وسورة الحمد لله وليقل عند فراغه من القراءة صدق الله تعالى وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم انفعنا به وبارك لنا فيه الحمد لله رب العالمين وأستغفر الله الحي القيوم ) اهـ.

وقد ورد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ذلك في دعاء ختم القرآن ففي شعب الإيمان للبيهقي ٢ / ٣٧٢ :

( قال أحمد : وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في دعاء الختم حديث منقطع بإسناده ضعيف ،

وقد تساهل أهل الحديث في قبول ما ورد من الدعوات وفضائل الأعمال متى ما لم تكن من رواته من يعرف بوضع الحديث أو الكذب في الرواية .

أخبرنا أبو نصر بن قتادة أنا أبو الفضل بن حمرويه الكرابيسي المهروي بها ثنا أحمد بن نجدة القرشي ثنا أحمد بن يونس ثنا عمرو بن سمرة عن جابر الجعفي عن أبي جعفر قال : كان علي بن حسين يذكر : عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا ختم القرآن حمد الله بمحامد وهو قائم ثم يقول :

الحمد لله رب العالمين والحمد لله الذي خلق السماوات والأرض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون، لا إله إلا الله وكذب العادلون بالله وضلوا ضلالاً بعيداً لا إله إلا الله ، وكذب المشركون بالله من العرب والمجوس واليهود والنصارى والصابئين ومن ادعى الله ولداً أو صاحبةً أو نداً أو شبيهاً أو مثلاً أو سمياً أو عدلاً، فأنت ربنا أعظم من أن تتخذ شريكاً فيما خلقت والحمد لله الذي لن يتخذ صاحبةً ولا ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيراً ،

الله أكبر كبيراً والحمد لله كثيراً وسبحان بكرة وأصيلاً والحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً \* قيماقرأها إلى قوله إن يقولون إلا كذباً ،

الحمد لله الذي له ما في السماوات وما في الأرض وله الحمد في الآخرة وهو الحكيم الخبير \* يعلم ما يلج في الأرض الآية ، و الحمد لله فاطر السماوات والأرض الآيتين ،

والحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى آله خير أما يشركون ، بل الله خير وأبقى وأحكم وأكرم وأجل وأعظم مما يشركون والحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون صدق الله وبلغت رسله وأنا على ذلكم من الشاهدين ،

اللهم صل على جميع الملائكة والمرسلين وارحم عبادك المؤمنين من السماوات والأرض ، واختم لنا بخير ، وافتح لنا بخير وبارك لنا في القرآن العظيم وانفعنا بالآيات والذكر الحكيم ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم ... ) اهـ.

وهاهو ابن عباس يقول هذا العبارة عقب ذكر بعض الآيات ففي تفسير القرطبي ١٦ / ١٨٨ :

( وقال ابن عباس : إذا عسر على المرأة ولدها تكتب هاتين الآيتين والكلمتين في صحيفة ثم تغسل وتسقى منها ، وهي : بسم الله الرحمن الرحيم لا إله إلا الله العظيم الحليم الكريم ، سبحان الله رب السماوات ورب الأرض ورب العرش العظيم ( كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو

ضحاها ) ( كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار فهل يهلك إلا القوم الفاسقون ) صدق الله العظيم ( اهـ .

وها هو الحافظ ابن كثير يصنع ذلك في موضع مشهور من تاريخه ، فعقب ذكره بعض الآيات يقول هذه العبارة . ففي البداية والنهاية ١١٩/١٣ قال :

( فمن ترك الشرع المحكم المنزل المنزل على محمد بن عبد الله خاتم الأنبياء وتحاك إلى غيره من الشرائع المنسوخة كفر فكيف بمن تحاكم إلى الياسا وقدمها عليه من فعل ذلك كفر بإجماع المسلمين قال الله تعالى أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون وقال تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ) صدق الله العظيم ( اهـ .

بل إن الحنفية والشافعية يرون أن من قال صدق الله العظيم في صلاته بعد الانتهاء من التلاوة بقصد الذكر أن ذلك لا يضر صلاته ففي البحر الرائق ٨/٢ : ( في الخانية والظهيرية : ولو قرأ الإمام آية الترغيب أو الترهيب فقال المقتدي صدق الله وبلغت رسله فقد أساء ولا تفسد صلاته اهـ ، وهو مشكل لأنه جواب لإمامه ولهذا قال في المبتغى بالمعجمة: ولو سمع المصلي من مصل آخر ولا الضالين فقال آمين لا تفسد وقيل تفسد وعليه المتأخرون وكذا بقوله عند ختم الإمام قراءته صدق الله وصدق الرسول ) اهـ .

وفي شرح الحصكفي ٦٢١/١ :

( فروع : سمع اسم الله تعالى فقال جل جلاله أو النبي صلى الله عليه وسلم فصلى عليه أو قراءة الإمام فقال صدق الله ورسوله تفسد إن قصد جوابه ) ( اهـ .

وفي حاشية الطحاوي على مراقي الفلاح ٣٢٠/٢ :

( قوله : ) ويفسدها كل شيء من القرآن قصد به الجواب ( إنما قيد بالقرآن ليعلم الحكم في غيره بالأولى فلو ذكر الشهادتين عنه ذكر المؤذن لهما أو سمع ذكر الله فقال : جل جلاله أو ذكر النبي صلى الله عليه وسلم فصلى عليه أو قال عند ختم الإمام القراءة : صدق الله العظيم أو صدق رسوله أو سمع الشيطان فلعله أو ناداه رجل بأن يجهر بالتكبير ففعل فسدت ) اهـ .

وفي مبسوط محمد ابن الحسن الشيباني ٢٠٤/١ :

(قلت : أرأيت الرجل يكون خلف الإمام فيفرغ الإمام من السورة أتكراه للرجل أن يقول صدق الله وبلغت رسله ؟ قال أحب إلي أن ينصت ويستمع . قلت فإن فعل هل يقطع ذلك صلاته ؟ قال لا صلاته تامة ولكن أفضل ذلك أن ينصت ) اهـ

وفي حاشية الرملي على أسنى المطالب ١٧٩/١ :

( وسئل ابن العراقي عن مصل قال بعد قراءة إمامه صدق الله العظيم هل يجوز له ذلك ولا تبطل صلاته ؟ فأجاب : بأن ذلك جائز ولا تبطل به الصلاة لأنه ذكر ليس فيه خطاب آدمي ) اهـ .

وفي حاشية الجمل على شرح المنهج ٤٣١/١ وحاشية الشيراملسي على النهاية ٤٤/٢ :

( فرع ) لو قال : صدق الله العظيم عند قراءة شيء من القرآن قال م ر ينبغي أن لا يضر وكذا لو قال آمنت بالله عند قراءة ما يناسبه اهـ .سم على المنهج ) اهـ

وانظر أيضا حاشية قليوبي ١١٦/١

ومن ذلك نعلم تعجل من حكم من المعاصرين على ذلك بأنه من البدع المذمومة قال تعالى ( خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ ) وقال سبحانه ( وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا ) اهـ

صدق الله العظيم

كتبه: عضو (المجلس العلمي بالمنارة)

الشيخ عبد الفتاح بن صالح قديش اليافعي